

زيارة بعدها زيارات

منذ اشهر، تسير الحياة السياسية في منطقتنا، خصوصا في دمشق (وبيروت)، وفق نسق غريب عجيب: تمر اسابيع على ايقاع "متى يأتي؟"، ثم فجأة تتسارع الوتيرة فلا نعود نسمع، خلال ايام، سوى نغمة "ما الذي يأتي به"، قيل ان يعود الى الايقاع السابق وهوس الانتظار.

المقصود بالسؤالين هو طبعاً وارن كريستوفر، وزير الخارجية الاميركي الذي كنا اعتقدنا انه سئم هذا النوع من المتساؤلات، عندما قرر في شهر حزيران الماضي، تأخير جولة له في المنطقة كانت تعتبرها الصحافة وشيكة، لانه لم يكن مقتنعا بجدواها، على حد ما قاله وقتئذ احد الناطقين باسم وزارته.

اما وقد عدل كريستوفر عن هذا الموقف وقرر اخيراً ان يضع حداً، ولو مؤقتاً، لاسباع من الانتظار والتشويق، صار لزاماً ادخال تعديل على السؤال. فبدل السؤال حول الذي يأتي به وزير الخارجية الاميركي، يجدر ان نسأل عما حصل من تغيير في الاجواء او في الكواليس حتى يقتنع بأن لبقولته الحالية جدوى. ام تراه فقط كان "يتفنج" عندما قرر ان يدجج نفسه اسابيع اضافية عن انتظار اجابته الكثر؟

في الحقيقة، لا توجد اي دلالة على تغيير جدي في الموضوع الذي يأتي كريستوفر من اجله، اي المسار السوري - الاسرائيلي (ورديفه اللبناني - الاسرائيلي). ولا نعتقد ان الوزير الاميركي فوجئ بالاجواء التي واجهته في دمشق. على العكس، يمكن الجزم بأن توقيت الزيارة كان يعرضها لأن تبقى عقيمة. فالتأويلات السلبية التي اعطاها المسؤولون السوريون للتقدم المضطرب على المسار الاردني لم تكن تهيئهم لظهور مرونة جديدة، هذا فضلاً عن انعكاسات الحدث نفسه على اسرائيل.

فعلى رغم الاشارات الاسرائيلية المتكررة الى الاعتراف بالسيادة السورية في الجولان، لم تكن حكومة اسحق رابين جاهزة للانتقال بالملف السوري الى مرحلة جديدة. اذ ان كل تقدم في مسيرة التسوية يتطلب اسرائيلياً فترة من الاستيعاب قبل التفكير بتقدم جديد.

كل هذا يعرفه كريستوفر. وكل هذا لا يشجع على القيام بزيارة طال انتظارها، اذا كان الهدف تحريك المسار السوري - الاسرائيلي. لكن حصول الزيارة يوحي بأن الهدف اكثر تواضعاً: لا انجاز اعلان المبادئ بين سوريا واسرائيل وانما مساعدة المسؤولين السوريين على استيعاب التقدم المنجز على الجبهة الاردنية، من خلال التأكيد لهم ان الولايات المتحدة مصممة، عاجلاً ام آجلاً، على طي جميع ملفات صراع الشرق الاوسط، كما قال كريستوفر نفسه علناً قبل وصوله الى المنطقة عندما اكد ان النزاع العربي - الاسرائيلي اوشك على نهايته.

بهذا المعنى، لم يكن رئيس الدبلوماسية الاميركية في حاجة الى ان يأتي بشيء، فقد بعث قبل مجيئه بالرسالة الكبرى. وما تبقى مسألة وقت، اي انتظار. فلا خشية اذاً ان يتغير الايقاع: سيبقى السؤال في الاسباع المقبلة: متى يأتي مجدداً؟

سمير قصير